ضوابـــط معادلـــة الشهـــادات باتجـــاه علـــمي رصـــين

إن اتحاد قوى السـوق مع اسـتخدام تكنولوجيا المعلومات لا يمكن أن تنتج عنه معرفة علمية رصينة بعيدة عن حسابات الربح والخسارة

سامر سمحي

أثار قـرار وزارة التعليم العالي والبحث العلمي بعـدم الاعـتراف بالشـهادات الصـادرة مـن الجامعـات الـتي تعتمـد كليا علـى التعليم عـن بعد , أثار ردود أفعـال متباينة, فالبعض سـاخط على الوزارة لما اسماه تجاهـل الوزارة لتكـنولوجيـا المعلومات وتطور طرق التعليم من جانب, واعتماد الوزارة في رفض الاعتراف بها على تعليمات معادلة الشـهادات الصادرة سـنة ١٩٧٦ ,وهي فـترة قديمة لم تصـل ثورة المعلومـات عندها المسـتوى الذي تشـهده الآن من تحول شـبه كلي إلى توظيـف الانترنيت لخدمة العملية التعليمية بكل مستوياتها من جانب آخر.

في حـين رأى البعـض الآخـر سـلامة قـرار الوزارة لترصـين التعليم الجامعـي ومنعه من أن يتحـول إلى تجارة رخيصـة لبيع المعرفة (بالوزن).. بقدر ما يدفع المستفيد من الدولارات يأخذ ما شـاء من شهادات... من هذه الجامعات الطائـرة التي لا تشـعر بوجودها المادي إلا حين دفعك لأجور الدراسة الباهظة فيها.

ومهمـا كانـت قوة الحجـج التي يتمسـك بها الفريـق الأول, فإننـا نـرى أن الـوزارة محقـة في قرارها لعدة أسـباب قد لا يعلمها عدد من الأشـخاص حتى ممن تقدم للدراسة في هذه الجامعات. ومنها:

١ـ رغـم أن اغلب هـذه الجامعات مرخصة من الدولة التي سـجلت فيها ,لكن في الوقت ذاته تصنفها تلك الدول تحت عنوان الجامعات غير المعتمـدة ((Unaccredited Universities أي غـير المطابقـة للمواصفـات الأكاديميـة الـتي يعتمدهـا نظام الجـودة في تلـك الدول, وبالتـالي ترفـض معادلـة الشـهادات الصادرة منهـا ,ومنهـا الجامعـة السـورية المفتوحـة والجامعة الحرة في هولندا.

٢ـ إن الـوزارة مـن أكثر المتحمسـين لمشـروع التعليـم الاليكتروني, والأدلـة كثـيرة أبرزها تبني الوزارة لمشـروع المكتبة العلمية الافتراضية (IVSL) وإشـراك الجامعـات العراقيـة فيهـا ,وحثها المسـتمر علـى إدخال الوسائل الحديثة في تقديم المحتوى العلمي كالعـروض التقديميـة باسـتخدام العارض الآلي(الداتا شـو), وإنشـاء مواقـع الكترونية للجامعـات والكليـات, وآخرهـا المؤتمـر الخامس الـذي سـينعقد في الـوزارة لبحـث السـبل الكفيلة لضمان الجـودة في التعليم الالكتروني.

لكن الوزارة تحـاول الموازنة بـين تبني الطرق الحديثـة في التعليـم وبـين حماية الأسـس والمبادئ الـتي قامت عليها المؤسسـة الجامعية وهـو خلق جيـل متعلم قـادر على اسـتخدام التفكـير العلمي السـليم وتوظيفه لخدمة مشـاريع التنميـة الوطنية وابعـاد المضاربين عـن ميـدان التعليـم العالـي مـا لم يلتزمـوا بأهداف الوزارة التي حددها القانون والدستور.

٣ـ إن مشـكلة هـذه الجامعـات ذات بعـد عالمي, هـو غيـاب توافـق دولي علـى معايير موحـدة يمكـن الاسـتناد اليهـا للحكـم بجـودة المخرجات التي تقدمها , خلافا لما عليه الحـال بالنسـبة للتعليـم العالـي التقليـدي والاتصـالات والصناعـة والتجـارة والزراعة. نعم هنـاك (مشـاريع) لوضع معايـير مقبولة دوليـا يمكـن علـى أساسـها الاعـتراف بتلك الجامعـات, منهـا مشـروع الاتحـاد الأوروبـي ٢٠٠٩ـ ٢٠١٣ .

يضـاف إلى ذلك مشـكلة تدريب وتطويع الأسـتاذ والطالب ليصبـح مؤهلا فنيـا وتقنيا للتعامـل مـع التكنولوجيـا الرقميـة, بـل المفارقـة إن الكـثير ممـن يدرسـون في هذه الجامعـات (الافتراضيـة) لا يمتلكـون مهارة اسـتخدام الحواسـيب والانترنـت , و البعـض لا يمتلـك حتـى حاسـوبا شـخصيا يتلقـى فيهـا (حـزم) الـدروس المطلوبة حسـب بعض الإحصائيات.

وقـد تفاجأ عزيـزي القـارئ إذا علمـت أن مشروع الجامعة الالكترونية (E_university) يحتـاج مـن التكاليـف ما يفوق إنشـاء الجامعات التقليديـة, لكونه يحتـاج إضافـة إلى البنـى التحتيـة والهيئـة التدريسـية والـكادر الإداري والقاعـات الدراسـية والمختبرات, طاقما هندسيا ذا مهارة عاليـة في اسـتخدام تقنيـة نقـل المعلومـات لوضـع نظـام متكامـل يكفـل عدالـة وفاعليـة إعطاء الدروس لعـدد غير محدد من المسـتفيدين ويضمن الرقابـة الالكترونية الفاعلة على أداء الامتحانات ,وحل المشاكل التقنية التي تعترض الطالب في حصوله على دروسـه ,والعديـد مـن الـدول ليسـت لديها الإمكانيـة الكافيـة لافتتـاح مثـل هـذه الجامعات رغم أن لها باعا طويلا في استخدام التكنولوجيا في التعليم.

٤ـ أمـا كـون الـوزارة قد اسـتندت في رفضها الاعـتراف بهذه الشـهادات لتعليمات (عتيقة) فهو قـول مردود , لان اغلب الـدول العربيـة مع اسـتثناءات طفيفة ترفض معادلة الشـهادات الـتي تعتمد مبدأ التعلم عن بعد , يشـاركها في ذلـك دول متقدمـة كالولايـات المتحدة وبريطانيا والاتحاد الأوروبي.

والجامعـات المفتوحـة الـتي تحظـى باعتراف رسمي لا تتجاوز عدد الأصابع. بعضها في دبي والاخرى في باكستان وبريطانيا

٥ ـإن اسـتراليا الـتي تعـد المصـدر الرئيـس للجامعـات المفتوحـة إلى بلـدان شـرق آسـيا في فترة التسعينيات, وجدت نفسها مضطرة نتيجـة تدني المسـتوى العلمـي للمتخرجين مـن تلـك الجامعـات إلى إصـدار تشـريع يمنع هـذه الجامعـات من اسـتخدام كلمة(جامعة) في اسـتراليا ما لم تسـتوف الشـروط الـتي تطبقهـا المؤسسـات الأكاديميـة علـى الجامعـات التقليديـة, بـل وأجـازت للـدول الـتي تمـارس هـذه الجامعـات نشـاطها فيها أن تقاضيهـا حسـب قوانـين تلـك الـدول إذا أدى نشاطها إلى(نتائج مضرة).

ويتسـاءل البعض عن سبب اسـتهانة دول مثل اسـتراليا بأبسـط قيم الشـفافية حـين ترفض اعترافها بهذه الجامعات في اسـتراليا ,مع منحها تراخيص أن تعمـل خارج حدودها وتمنح ما يحلو لها من شـهادات مـن البكالوريوس إلى الدكتوراه وألقاب علمية من المدرس المساعد إلى الأسـتاذية وبأسـرع من لمح البصر! وختم الخارجيـة الاسـترالية جاهـزة (لتصديـق) صحـة صدور الشـهادة , لكنها صحة صدور عرجـاء لا تخـول صاحبها حتـى الدخول إلى اسـتراليا أو العمـل ولو عامـل خدمة في تلك الجامعـات , وليذهـب الشـرق للجحيم طالما خزينـة تلـك الدولـة السـياحية مليئة من الضرائـب علـى (أربـاح) هـذه الجامعـات التي تسمي نفسها (جامعات غير ربحية) بشكل قد يفوق ضرائبها من النشاطات السياحية!

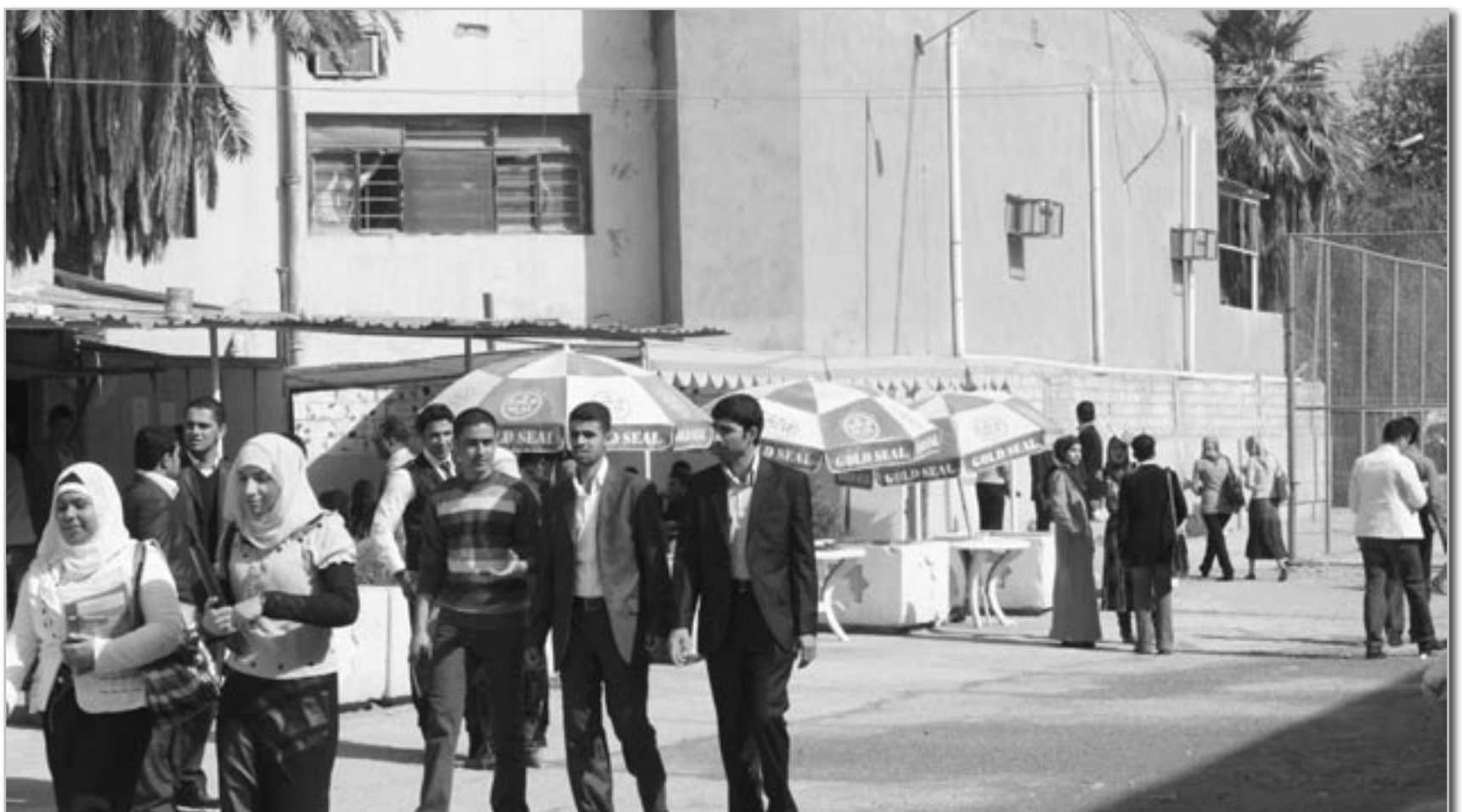

اغلب الدول العربية ـ مع استثناءات طفيفة ـ ترفض معادلة الشهادات التي تعتمد مبدأ التعلم عن بعد

قيـــم النزاهـــة ومواجهـــة الفســـاد ...نظـــرة تربويـــة

علي محمد البهادلي

تعد المؤسسة التعليمية والتربوية أكثر المؤسسات تأثيراً وفاعلية في المجتمعات البشرية لا سيما في المجتمع الشرقي في الوقت الحاضر لما لها من تماس في حياتنا ، لا غرو فهو مهد الحضارات الانسانية المتوارثة بين اجيال ،حيث اكد باحثون في علم الاجتماع أن البشرية لم تخل في أي فترة زمنية عاشتها على هذه البسيطة من الشعور بالتاسيس للمؤسسة التعليمية حتى في الفترات الزمنية التي توصف بمرحلة "طفولة الشعوب "وسيادة الأفكار البدائية والأساطير ؛ ما يدل على أن الشعور بالجانب التعليمي هو شعور فطري كبقية الحاجات الفطرية الأخرى ، ما جعل المؤسسة التعليمية تتميز عن غيرها من المؤسسات بالقداسة والاحترام الكبير.

إن المشـاكل الـتي تواجـه الإنسـان كثيرة جـدا وهو يحـاول أن يسـبر أغوارهـا ؛ كـي يشـخص أسـبابها وبالتـالي يسـعى لإيجاد السـبل الناجعـة للقضـاء عليهـا ، وبمـا أن العـراق قـد مرَ بعـدة حقب اعتلـت الحكم فيهـا عـدة أنظمة ، أسـهمت بشـكل كبير جـدا في تغيير الكـثير من المبادئ والأفكار والقيم من خلال سياساتها الفاسدة والأزمات السياسـية والاقتصادية التي جلبتها للشعب العراقـي فقـد تفشـت عـدة ظواهر سـلبية لم يعـد يُنظر إليهـا على أنها عادات سـلبية ، كالرشـوة والتزويـر والتعـدي علـى المال العـام ، لكـن المجتمـع على الرغـم من هذه الظـروف الـتي أحاطت بـه لم يختف الشـعور الديـني داخلـه ، واسـتطاع رجـال المؤسسـة الدينيـة الاحتفـاظ بنـوع مـن الهيمنـة والنفـوذ داخـل قلـوب الجماهير ، وهـم ـ أي الجماهـير ـ ينصاعـون بشـكل لا بأس فيه للفتـاوى الدينيـة التي يصدرهـا رجال هذه المؤسسـة لا سـيما ما يتعلق بموضوعنا هذا ، وقضيـة حرمـة التعـدي علـى المـال العام وممتلكات الدولة وضرورة إرجاع ما سُـرق منهـا بعد سـقوط النظام السـابق خـير دليل علـى هذا ، فقـد تجـاوب الكثير مـن أبناء الوطـن لنداء هذه المؤسسـات وقامـوا بإرجاع مـا سـرق مـن أمـوال الدولـة وممتلكاتها ، مـن هذا المنطلـق يجب أن يلتفـت رجال هذه المؤسسـة للدور الخطير والفاعـل الذي تقوم بـه فتاواهم الـتي تسـتند عملية اسـتنباطها إلى النصوص الدينيـة وفي مقدمتها القرآن الكريم ، لا سـيما ما يتعلق منها بمعالجة هذه المشـاكل الخطيرة ؛ لأن هذه المشاكل بـل الأزمـات كتفشـي عمليـات الفسـاد الإداري والمالـي في مؤسسـات الدولـة تحتاج إلى تكاتـف جميـع الجهـود ومـن مختلف الشـرائح والفئات لمحاربتها والقضـاء عليها ، ومن أهم هذه السـبل طريق الفتوى الدينية ، فالقاصي والداني يعلم ما قامت به الفتوى الدينية من إقبال جماهيري على الانتخابات وعـزوف جماهـير أخـرى عنهـا ، فالمؤسسـة الدينية التي حثت الجماهير على المشاركة في الانتخابات تقع على عاتقها مسـؤولية كبيرة جدا ، فالمشـكلة هنـا من الممكن معالجتها بصـدور فتاوى واضحـة تحرم بل تجـرم كل عمليات الفسـاد الإداري وتدعو الجماهـير إلى الإعـراض عـن الشـخصيات المتورطة في هذه الجرائم والمطالبة بضرورة محاكمـة هؤلاء وعـدم جواز الدفـاع عنهم مـن قبـل كتلهـم السياسـية الـتي ينتمون إليها ، فالتغطية عليهم هي مشـاركة معهم في عمليات الفسـاد ، وعدم الإدلاء لصالحهم في الانتخابـات البرلمانيـة المقبلـة ، ومـن جانب آخـر يمكنها ـ أي المؤسسـة الدينية ـ حـض المواطنين علـى مسـاعدة الجهـات الرقابيـة خصوصا فيما تقوم به من محاربة الفسـاد بإصـدار فتـوى توجب علـى المواطن الإدلاء بالمعلومـات الـتي تـؤدي إلى ملاحقـة الفاسـدين ومحاسـبتهم ، فالإنسـان المؤمـن يجب أن يكون مثالا يُحتذى في إزالة الظلم والفسـاد والانحراف ، وقد مدح الله سـبحانه وتعالى الذين يأمـرون بالمعروف وينهون عن المنكـر ،إذ قال في محكم كتابه الكريم : ((كنتـم خيرَ أمـةٍ أخرجَت للناس تأمرون بالمعـروف وتنهـون عـن المنكـر)) والمنكر مـن أبـرز مصاديقه الفسـاد الإداري وسـرقة قوت الشـعب الذي يعيش كثير مـن أبنائه حالـة الفقـر والحرمـان ، والمعـروف من أبرز مصاديقه بث قيـم العدل والصدق والأمانة ، قال الله سـبحانه وتعالى في سـورة الحديد : ((لقد أرسـلنا رسـلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتـابَ والميـزان ليقـومَ الناسُ بالقسـط)) فهـدف إرسـال الرسـل وتشـريع الأحـكام في الكتـب السـماوية هـو أن يقـوم الناس بالقسـط ، أي يجب أن يكـون موقف الناس موقفـاً إيجابيـاً مـن مسـألة إقامـة العـدل وإزالـة الظلـم ، وليـس أن يقفـوا متفرجـين إزاء الفاسـدين وعمليـات الفسـاد ؛ لأن هـذا هو بداية تقهقـر القيم النبيلة وسـيادة قيم الانحراف بدلا عنها ، مـا يـؤدي إلى موت ذلك المجتمع وهلاكه وإيقـاف عمليـة التنمية ، قـال تعـالى : ((وما كان ربُـك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون)) فيمكننا أن نفهم مـن الآيـة الكريمـة أن سـيادة قيـم الظلم والفسـاد وسـكوت المجتمع عنها وخلوه من المصلحـين يـؤدي إلى وقـوف عجلـة التقدم وهذا يعنـى أن المجتمع قد ماتت في مفاصله الحيـاة ، هـذه المبـادئ إذا مـا أكـدت عليها المؤسسـة الدينيـة ، وبدأت بعمليـة غرسـها في نفـوس أفـراد المجتمـع أعتقد أنها سـوف تؤتـي أكلها وتخرج بنتائـج باهرة ، فصفة الإلزام التي تتصف به الفتوى الدينية يجعلها تؤثـر بقوة في الفرد لا سـيما إذا أخذنا بنظر الاعتبار أسـلوب الترغيب بالثـواب والترهيب بالعقاب يوم الحساب ، فإن هذه من الأساليب المؤثـرة في النفس البشـرية ونتائجها مثمرة ؛ لأن امتثـال هـذه الأحكام نابع من داخل الفـرد وهذا مـا يعطيها بعـدا تربويا كبيرا يتجاوز بكثير وسـائل العـلاج الأخرى، أما الجانـب الآخـر فهو التركيز علـى النصوص الدينيـة الـتي تدعو إلى قيم العـدل والأمانة والتحلـي بالقناعـة والزهـد والإعـراض عن الصفـات الذميمـة كالطمـع والحـرص وحـب الجمـع ، أمـا التأكيـد علـى الالتزام بقشـور الشـريعة والتركيـز علـى الظاهر وإهمـال الباطـن ، فهـو مرفـوض مـن قبـل الشـرائع السـماوية ، والنصـوص الدينيـة الـتي تتحدث عـن المنافقين وجمـال ظاهرهم وفسـاد باطنهم وقبحـه كثـيرة ، منها قوله تعـالى : ((وإذا رأيتهـم تعجبـك أجسـامُهم وإن يقولـوا تسـمعْ لقولهـم كأنهم خشـبٌ مسـندة)) ، وقـد قـال الرسـول الأكـرم مـا مضمونـه : إن الله لا ينظر إلى أجسـامكم ولا إلى صُوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم ، وقديما صدحت حنجرة السـيد المسـيح في وجـوه الفاسـدين المنافقين إذ قـال : ((الويـلٌ لكـم أيها الكتبة والفريسـيون المراؤون !فإنكم تؤدّون حتى عشـور النعنع والشبث والكمّون , وقد أهملتم أهمّ ما في الشريعة : العـدل والرحمـة والأمانـة ·كان يجب أن تفعلـوا هذه ولا تغفلـوا تلك ! أيُهـا العميان ! الويـل لكـم أيُها الكتبة والفرّيسـيون المراؤون ! فإنكـم تنظفـون الكأس مـن الخـارج , ولكنّهمـا مـن الداخـل ممتلئتان بما كسـبتم بالنهب والطمع ! أيُها الفرّيسي الأعمـى نظّـفْ أوّلا داخـل الكأس ليصير خارجها أيضـاً نظيفـاً !)) وقال يذمّ رؤسـاء الشريعة (اليهود) : ((يلتهمون بيوت الأرامل , ويتذرعون بإطالة الصلوات , هؤلاء سـتنزل بهـم دينونة أقسـى)) وقال واصفـا إياهم ((يحزمـون أحمالا ثقيلة لا تطاق , ويضعونها على أكتاف الناس , ولكنهم لا يريدون أن يحركوها بطرف الإصبع))

إذاً نسـتنتج ممـا سـبق أن الديانـات تمتلـك رصيـداً قيميـاً وأخلاقيـاً ثـرا , يسـتطيع المعنيون بهذا المجال استثمار النص الديني في سـبيل دفع المجتمع باتجاه التحلي بالأخلاق الفاضلـة والإعـراض عـن الرذائـل الأخلاقيـة , وبالخصـوص في مجـال بـث قيم النزاهـة والشـفافية كأداء الواجبـات الوظيفيـة بـكل إخلاص وأمانة والحفاظ على المال العـام وخدمـة المواطنين , وفي مجال مواجهة الفساد الإداري والمالـي كالابتعـاد عـن كـل مـا يخل بالواجبات الوظيفية واجتناب الرشـوة والاختلاس والتعدي على المال العام .

نأمل أن تعي المؤسسـة الدينية دورها التـاريخي الخطـير في هـذه المرحلـة مـن تاريـخ العـراق الجديـد , فالمسـؤولية الدينيـة والوطنيـة تحتـم علـى الجميع الإسـهام في بناء بلـد مزدهـر خـالٍ مـن الفساد .